جامعة تكريت /كلية التربية للبنات / قسم التاريخ

المادة: عرب قبل الاسلام

عنوان المحاضرة: طقوس الحج والعبادة عند الانباط

استاذ المادة: : أ.د. حنان عيسى جاسم

المحاضرة السادسة

طقوس الحج والعبادة عند الانباط

عبد الانباط الهة متعددة ومارسوا طقوسا تعبدية لتلك الاله وحجا لها ينم على الارتباط الروحي العالي لمعبوداتهم.

مدن الانباط كانت كالمعابد كان كل ركن منها يحوي إشارة للإله، ولكن هذا الغنى لم يقتصر على المعابد والأضرحة فحسب إنما تعدى إلى أن ينظم الأنباط حياتهم وفقا لطقوس تضمن لهم حب وقرب الآلهة وتبعد عنهم السخط والغضب. وبداية من الاحتفالات الدينية والشعبية والطقوس التعبدية وصولا إلى الجنائز وعادات الدفن كانت الطقوس الدينية النبطية تحتل موقعا مهما انعكس على جميع جوانب الحضارة النبطية من معمار وتجارة وزراعة وغيرها.

اعتمدت العبادة عند الانباط على الابراج فالآلهة النبطية كانت مشتقة بشكل رئيس من أمرين هما السماء والدورة الزراعية. فالإله اللات شمسًا وآلهة خصب وقمح، و مناة قمرا وآلهة موت وذبول ويكون ذو الشرى "آلهة الكروم". ولهذا، كان الأنباط يحتفلون في مواسم معينة وفقا لما تحدده هذه الأبراج. كانت الأبراج أمرا شهيرا وشائعا في الحضارة الرومانية، فتزدان الكنائس والقصور برسوم ونقوش لرموز الأبراج ولكن الأبراج الرومانية عكس عقارب الساعة (الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، العذراء) ومن ثم (الميزان، عقرب، قوس، جدي، دلو) على أن الأنباط لم يأخذوا الأبراج الرومانية على هيئتها تلك إنما كانت الأبراج النبطية مع عقارب الساعة إضافة لحملها رموز الآلهة النبطية الخاصة. عثر علماء الآثار على تمثالا يوضح ماهية الأبراج النبطية، فربة الحظ والرعاية " تايكي" المجنحة والتي يرجح أنها ذات الآلهة مناة تحمل اللات آلهة الشمس والخصب على يمينها سيف أو حربة كما ترتدي اللات إكليلا.

تختلف بعض تصاوير الأبراج أيضا في الدائرة النبطية، فصوّر الأنباط برج القوس برامٍ شاب وفتي يحمل قوسا أو رمحا ويرجح أن هذا يرمز للآلهة الكتباي آلهة الكتابة والتجارة. كما صور الأنباط برج الجدي على شكل تمثال نصفي للإنسان على عكس التصوير التقليدي عند الرومان بسمكة أو جدي.

وتتباين احتفالات الأنباط وفقا لهذا التقويم، فبها تحدد الأشهر الحرم ومواقيت الحج وطقوس القرابين والدعاء ولم تقتصر على ذلك بل استخدمت أيضا للدلالة على مواعيد الحصاد والبذار.

قداسة الأماكن العالية في الحج والأعياد والقرابين:

كانت الصلاة بالنسبة للأنباط فعل ارتقاء حقيقي وروحي في آن واحد. فقد دفعهم تقديسهم للأماكن العالية إلى بناء أدراج تتكون من مئات الدرجات التي ترقى إلى قمم الجبال ومدينة البتراء ذات الحجارة الوردية التي تلفها الجبال من كل جانب هي خير دليل على ذلك.

يعد الذريح من أهم المعابد النبطية التي بنيت في مكان عال والتي كان الأنباط يحجون إليها عرفت الأماكن العالية المقدسة عند الأنباط بالمعلايات. فالمعلية ساحة منبسطة مقتطعة من جبل، يبنى لها درج. لهذه المساحة المنبسطة ارتفاع بسيط وتحيط بها دكة مبنية استخدمت غالبا للجلوس، وغالبا ما يتوسط المعلية مذبح وتسمى حينها "مسجدا" والمسجدا هي محراب العبادة المقدس. وعلى زوايا المعلية، تحفر مجار للماء وأخرى للدماء. وقد وضع الأنباط داخل هذه المعلايات ما سموه "نصب" أو "مصبا" وكانت هذه الأنصاب تجسيدا للآلهة وعندها تتم طقوس الحج والعيد والقربان. كما وضعوا قطعا صخريا مستطيلة الشكل وأكثر انتظاما سميت بالمسلات ولها أيضا دلالات دينية كالتي عند "الأنصاب" الموجودة على الدرجات المؤدية إلى الأماكن العالية في الجبال.

في طقس احتفالي، يتقدم الكاهن الجموع ويصعد الدرج تاليا دعواته وطائفا حول النصب في طقس الحج. يجر النبطي قربانه المقدس، وعند الوصول إلى أرض "المعلية" المنبسطة يقوم الكاهن بذبح القربان وتسييل دمه على الأدراج وفي المجاري المخصصة لذلك. منذ وجود الانسان في هذا الكون كان الدم رمزا للحياة والقوة، وبه دعا الإنسان إلهه بأن يمنحه إرادة الحياة والقربان وسيلة أيضا للاعتراف بالمنة والفضل لآلهة الخصب التي ترعى الماشية كي تتكاثر.

احتفل الأنباط في ذلك الطقس بالآلهة اللات ربة الخصب. فأثناء موسم تكاثر الماشية يعلن الأنباط بدء الربيع فيكون العيد احتفالا بهبة الآلهة وبمعجزة الخلق التي يشهدونها في موسم التكاثر. طقوس العيد النبطي: يبدأ الاستعداد للعيد عندما يهل هلال شهر العيد، وتستمر الطقوس على مدى أسبوعين. أي لحين اكتمال القمر بدرا. طقوس الاستعداد للعيد تبدأ بإعداد القربان المقدس وتنتهي بذبحه أي التضحية به ، ولكن طقوس العيد النبطي لا تقتصر على الاستعداد وتجهيز القربان والحج إلى المعلية، إنما تتعدى ذلك إلى فترة يستغلها النبطي الأردني لتطهير روحه ليبدأ في تطبيق برنامج

صارم للزهد والابتعاد عن ملذات الحياة اليومية. يتابع هاشم غرايبة وصفه لطقوس التقشف النبطية الأردنية.

"وخلال هذين الأسبوعين يتوقف روتين العمل اليومي، ويلتزم الناس بطقس تقشف قوامه الممنوعات: ممنوع الصيد، ممنوع إراقة أي دم. ممنوع قتل أي كائن ولو كان حشرة. ممنوع شرب الخمور أو التعاطي مع العطور. ممنوع إقامة علاقات جنسية من أي نوع، ممنوع النوم وقت طلوع الشمس ووقت غروب الشمس. ممنوع أي تماس جسدي مع أي شخص آخر، ممنوع غسل الوجه واليدين، ممنوع قص الشعر وحك الرأس، ممنوع الغناء ورفع الصوت حتى من قبل أطفال يلعبون. ممنوع الخروج للبحث عن ضآلتك فالماشية الشاردة تعد ملكا لمن يعثر عليها، خلال هذين الأسبوعين يتم إعداد القربان حيث التضحية بالقربان المقدس هي ذروة العيد وخاتمته. وبعدها تراق الخمور وتغني القيان، ويرقص الناس بالشوارع، ويصير الممنوع مباحا.

أن طقوس القربان المقدس لم تكن تقتصر على الذبح أو تلاوة الصلوات إنما كان الأنباط يقيمون ولائم مقدسة لأكل لحوم الأضاحي إذا يشارك في أكلها موظفو المعبد والعباد في غرف خاصة. وكانت الوجبة التعبدية هي المشاركة بين الإله وعابديه في المؤاكلة. كان لذو الشرى، الإله الأكبر، نصيب كبير من طقوس الحج النبطية اذ سمي نصب ذو الشرى بـ "كعبو" وكان صخرة سوداء يحج الأردنيون الأنباط إليها في الخامس والعشرين من كانون الأول، أي في يوم الانقلاب الشتوي.